الطبقات الاجتماعية ودورها في احتجاجات تشرين

أ.د. نبيل عمران موسى الخالدي

الباحث. باسم عبد الكريم

جامعة القادسية / كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

journalofstudies2019@gmail.com

الملخص:

إنَّ دراسة الطبقات الاجتماعية تسهم في إلقاء الضوء على مكونات المجتمع من خلال تشريحه, وذلك فعلاً ما يحتاجه المجتمع العراقي, الذي لا يزال يفتقر إلى الدراسات العلمية التي تتخذ من أبنيته الاجتماعية مجالاً للدراسة والتمحيص, وخاصة انه يجتاز منعطفاً حاسماً في تاريخ سيرورته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية, فتسليط الضوء على الطبقات الاجتماعية يُساهم لا محالة في فهم افضل للميكانزمات المتحكمة في عملية التنمية والتقدم, حيث شهد المجتمع العراقي ومازال يشهد تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية كانت لها تأثيراتها البالغة على البناء الطبقي لهذا المجتمع وقد تباينت هذه التأثيرات في مضمونها في فترة ما بعد الاحتلال الامريكي للعراق بعد عام ٢٠٠٣. الذي اتسم بعدم استقرار النظام السياسي مدفوعًا بمجموعة متنوعة من العوامل، بما فيها، التوترات الطائفية، والتحديات الأمنية والتظاهرات على التردي الخدمات، وتفشي الفساد في اغلب مؤسسات الدولة وسوء الخدمات المقدمة للأفراد فضلا عن الفجوة الاقتصادي بين افراد الطبقات المكونة للمجتمع العراقي الذي اسهم في ظهور احتجاجات وتظاهرات متكررة في العديد من المحافظات العراقية.

الكلمات المفتاحية: (الطبقات الاجتماعية، احتجاجات تشرين).

Social classes and their role in the October protests

Dr. Nabil Omran Musa Al-Khalidi

biaism eabd alkarim

Al-Qadisiyah University / College of Arts / Department of Sociology

Abstracts:

The study of social classes contributes to shedding light on the components of society through its anatomy, and this is really what the Iraqi society needs, which still lacks scientific studies that take its social structures as a field for study and scrutiny, especially as it passes a decisive turning point in the history of its economic, social and political process. Shedding light on social classes inevitably contributes to a better understanding of the mechanisms

controlling the process of development and progress, as Iraqi society has witnessed and is still witnessing economic, social and political transformations that have had severe effects on the class structure of this society. These influences have varied in their content in the period after the US occupation of Iraq. After 2003, which was characterized by the instability of the political system driven by a variety of factors, including sectarian tensions, security challenges, demonstrations against the deterioration of services, widespread corruption in most state institutions and poor services provided to individuals, as well as the economic gap between the members of the constituent classes of Iraqi society that Contributed to the emergence of repeated protests and demonstrations in many Iraqi provinces.

Keywords: (social classes, October protests).

المقدمة:

يُشكل دراسة الطبقات الاجتماعية ركناً هاماً من اركان الدراسات الاجتماعية خاصة بعد ظهور الفكر الماركسي نظرياً وتطبيقياً، حيث اصبحت العناية بدراسة موضوع الطبقات الاجتماعية بالدرجة الاولى نابعة من اصول تاريخية لا يمكن اغفالها او التغاضي عنها. بل يكاد يكون من الموضوعات الكلاسيكية التي حظيت بقسط وافر من الاهتمام لا من جانب علماء الاجتماع فحسب بل، وأيضاً من جانب الفلاسفة ودعاة الاصلاح الاجتماعي الأمر الذي جعل التراث الفكري والعلمي في هذا الموضوع ينطوي على العديد من النظريات التي تعبر عن تصورات وايديولوجيات مختلفة ومتعارضة، وترتكز الاهمية التي يشغلها موضوع الطبقة والتدرج الطبقي عند علماء الاجتماع على تصور مؤداه أن ظاهرة انقسام المجتمع إلى طبقات اجتماعية تعلو بعضها بعضاً، ظاهرة عامة يكاد لا يخلو منها أي تنظيم اجتماعي انساني. حتى أنه من المتعذر ان نجد فيما يسود العالم من ثقافات مختلفة مجتمعاً واحداً يخلو من مظاهر الترتيب الطبقي الاجتماعي حتى في المجتمعات البدائية التي قد لا تظهر فيها الفوارق الطبقية بين الأفراد بنفس الدرجة من الوضوح التي تبدو عليها في المجتمع المتمدن.

لقد أثارت حركات الاحتجاج الجماهيري الجديدة في العراق تغييراً على أنظمة وأبنية سياسية واقتصادية واجتماعية وتغير في سلوك المجتمع، وظهرت سلوكيات جديدة بين شرائح المجتمع، كما أثرت على السلوك الاجتماعي والسياسي والثقافي والديني، وفي العراق أثرت هذه الحركات على الشخصية العراقية في جميع جوانبها السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية مما كان له الأثر الكبير في تغير سلوكيات المجتمع، وهنا ينبغي أن ندرك درجة التباين بين الآثار الإيجابية والسلبية للحركات الاجتماعية على الشخصية العراقية ومحاولة الوصول إلى مجموعة من المرتكزات التي يجب مراعاتها

عند تشكيل السلوك الاجتماعي، لأننا في هذا الوقت يضطرب الفكر في العراق ويضطرم بحثا عن شخصيتها ودورها الإنساني والحضاري، وقد تجلى ذلك في كسر حاجز الخوف المزمن من الدولة، مما شجع شرائح اجتماعية عديدة على الخروج عن صمتها ونبذ سلبياتها، فازداد زخم الوقفات الاحتجاجية والاضطرابات التي عبرت من خلالها فئات كثيرة مهمشة عن مطالبها الفئوية أو الاجتماعية وفي عدة مرات في فترات سابقة، وكون الانسان عنصر من عناصر بناء المجتمع فلابد أن يتأثر عمله بأي تغير يحصل في المجتمع، على أساس أن شخصية الإنسان ذات طابع اجتماعي بحت باعتبارها نتاج المجتمع، وبالتالي فكل سلوك فردي لا بد ان يتضمن الدوافع الاجتماعية وتأثيرها، ولولا هذا التأثيرات لما ظهر الإبداع والنشاط الإنساني للفرد.

الاطار النظري للبحث

المبحث الاول/ عناصر الدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة

تتبلور مشكلة الدراسة الراهنة "الطبقات الاجتماعية واحتجاجات تشرين"، وتنتج من كونها تسلط الضوء على الطبقات الاجتماعية العراقية ودورها في المشاركة في الاحتجاجات التي عمت البلاد في البلاد في تاريخ ٢٥ تشرين الثاني ٢٠١٩، والتي لا تزال آثارها ونتائجها واضحة على المشهد السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وتكمن المشكلة في التساؤلات الاتية :

١. ما هي سمات الوضع الطبقي في المجتمع العراقي؟
٢. من هي أكثر الطبقات الاجتماعية الأكثر تأثيراً في احتجاجات تشرين.
٣. هل التفاوت الاقتصادي بين أفراد الطبقات الاجتماعية في المجتمع العراقي دوراً في احتجاجات تشرين؟

ثالثاً: أهداف الدراسة

تتمثل أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

١. التعرف على الوضع الطبقي في المجتمع العراقي.
٢. معرفه أكثر الطبقات الاجتماعية تأثيراً في احتجاجات تشرين.
٣. التعرف على مدى تأثير التفاوت الاقتصادي بين أفراد الطبقات الاجتماعية في المجتمع العراقي دورا في احتجاجات تشرين؟

رابعاً: أهمية الدراسة

يشكل موضوع الطبقة ودراستها مسألة من أهم المسائل التي تناولها علماء الاجتماع والفلاسفة قديماً وحديثاً، والطبقات ركناً هاماً من اركان الدراسات الاجتماعية حيث اصبحت العناية بدراسة موضوع الطبقات الاجتماعية بالدرجة الاولى نابعة من اصول تاريخية لا يمكن اغفالها او التغاضي عنها. بل

يكاد يكون من الموضوعات الكلاسيكية التي حظيت بقسط وافر من الاهتمام لا من جانب علماء الاجتماع فحسب بل وأيضاً من جانب الفلاسفة ودعاة الاصلاح الاجتماعي. فنحن اذن امام موضوع من الموضوعات التي اهتم بها علم الاجتماع ودأب كثير من المفكرين على تناوله ودراسته.

وقد دفعت هذه التحولات الدارسين في مجال العلوم الاجتماعية المختلفة وبالأخص علمي الاجتماع والاقتصاد وفي مرتبة تالية علمي التاريخ والسياسة للاهتمام بموضوعات البناء الطبقي والتكوينات الاجتماعية والطبقات المختلفة، وكان موضوع أثر الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي على الطبقة الاجتماعية من الموضوعات التي حظيت بمكانة في الجهد البحثي لهؤلاء المهتمين، وما الدراسة الراهنة إلا واحدة من تلك المحاولات، أن فهم الطبقات الاجتماعية، والتعرف على ما تحتويه من مضامين اجتماعية واقتصادية وثقافية وظروف معيشية يفيد في وضع الخطة الاقتصادية والاجتماعية للتنمية، ورسم سياسة رشيدة تحقق مصالح أفراد المجتمع ككل.

سابعاً: مفاهيم الدراسة

أولا: مفهوم الطبقة Class:

يُشكل مفهوم الطبقة بشكل عام واحداً من أهم المفاهيم التي تناولها علماء الاجتماع وأكثرها غموضاً في دلالتها فعرفت في المعاجم المختلفة على أنها "جيل بعد جيل أو القوم المتشابهون في سن أو عهد"(١).

الطبقة في اللغة: الطبقة في اللغة تعني" الناس منازلهم ومراتبهم"(٢).

يطلق عليها في اللغة الفرنسية كلمة " Classe"، وفي اللغة الإنجليزية" Class" (٣).

اما في الاصطلاح تعدّ الطبقة من المفاهيم الأساسية في أي بناء اجتماعي قائم، ومن أقدم الموضوعات التي نالت قسطاً كبيراً من اهتمام الباحثين، والمهتمين بدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية(٤).

في حين عرفت الطبقة من منظور بعض المعاجم الأخرى (Social Class) عندما أطلق كارل ماركس هذه الكلمة وعممها من خلال كتاباته الاقتصادية والسياسية بأنه يقصد بها التصنيف السلبي والأخلاقي الذي يؤدي إليه النظام الرأسمالي. ففي ظل نمط الإنتاج الرأسمالي تنعدم الديمقراطية، في رأيه، إذ تنشأ طبقات اجتماعية غير متساوية في الإفادة من الإنتاج. فحصة الأسد تذهب إلى البورجوازية. أما الطبقة العاملة فوظيفتها إثراء الطبقة البورجوازية بتحريك عجلة الإنتاج. أما حصة الطبقة العاملة والبروليتارية (أي الذي تعيش من عملها كل يوم بيومه) فهي فتات من أرباح البورجوازية، وهذه الفتات تشكل لا رأي ماركس القوت الذي يمنع من الموت ليس إلا)(٥).

وتعرف الطبقة أيضاً في موسوعة علم الإنسان على أنها تميز النظم أو المجتمعات الطبقية بتقسيم أفقي للمجتمع إلى طبقات وتعرف الطبقات وفقاً للمفاهيم الماركسية–من خلال مواقعها المتباينة من أدوات الإنتاج. فالطبقة المسيطرة تستحوذ على الفائض الذي تنتجه الطبقات الأخرى، وذلك من خلال

تحكمها في أدوات الإنتاج وهكذا تستغل الطبقة المسيطرة على هذه الطبقات وتكون العلاقة بين الطبقات علاقة عداء بصورة أساسية، كما يكون الصراع الطبقي حتماً في ظل النظام الطبقي(٦).

أما من منظور النظرية الوظيفية فقد انبثق مفهوم الطبقة أو (التدرج الاجتماعي) من التراث الفيبري بحيث تقوم على تحديد الطبقات السائدة بشكل وصفي وتحديد مراتب تدرجها تبعاً لمعايير مثل الدخل، التعليم، المهنة والموقع الوظيفي في التنظيمات المختلفة بالإضافة إلى أسلوب الحياة المتبع التي يمكن ملاحظتها بين هذه المعايير، دون أي محاولة للتعرف على مبررات ووجود أسباب لهذا التدرج(٧).

وذهب "سوروكن Soroken" إلى تعريف الطبقة (بأنها جماعة اجتماعية تمثل نسقاً اجتماعياً وتتمايز هذه الجماعات في شكل هرمي يتضح في وجود طبقات عليا ودنيا، ويرجع التدرج في جوهره إلى توزيع غير متساوٍ للحقوق والامتيازات والواجبات، والمسؤوليات والغنى، والحرمان الاجتماعي، والقوة والنفوذ الاجتماعي بين أعضاء المجتمع)(٨).

وتعرف الطبقة بأنها "مجموعة من الأفراد الذين يتشابهون معاً في الوضع الاجتماعي والاقتصادي ويترابطون معاً بمجموعة من المعايير والقيم المشتركة والتجمع السلالي، كما تعرف أيضاً بأنها "مجموعة من الأفراد الذين يتشابهون معاً في النوع والمهنة والجامعة والسلالة"(٩).

الطبقة عبارة عن "مجموعة من الأفراد الذين يشتركون معاً في السمات الثقافية والاجتماعية والتنظيمية ويعتقدون في قيم واحده".(١٠)

هذا ويعرف "جون ولتر" Walter John الطبقة بأنها "عبارة عن فئه من فئات المجتمع والذين يكونون على فهم بطبيعة مجتمعهم، ويظلون ملازمين لآخرين يتشابهون معهم في بعض السمات، مثال ذلك الطبقة كما أشار إليها ماركس" .(١١)

ثانيا: الطبقة الاجتماعية Social Class

يعرف "روبنسون" و"هاريس" Robinson & Harris الطبقة الاجتماعية على أنها مجموعة من الناس الذين يشتركون في علاقة عامة بعملية الانتاج وإعادة الانتاج الاجتماعي متشكلين علائقياً على أساس صراعات القوى الاجتماعية، وهو الذي بالإمكان تطبيقه على حالة التضاد الاستقطابي، كالذي بين (البرجوازية والبروليتاريا) وعلى المصالح الجزئية داخل نطاق طبقة واحدة بعينها (كالرأسمال الصناعي، والتجاري) .(١٢)

كما يتضمن مفهوم الطبقة في علم الاجتماع، وجود مجموعة من الناس المتشابهين في خصائص وأوضاع(١٣)، مما يؤدي إلى أنماط اتصال بين أعضائها، ينتهي إلى ظهور نسق خاص بهم، وتتطور مع هذا التجمع مصالح مشتركة، ثم نوع من الوعي الجماعي في تماثلهم، واختلافهم عن الآخرين، وبهذا يعرف لينسكي Linski الطبقة بأنها تجمع أشخاص من المجتمع، يشتركون في وضع متشابه من حيث القوة والامتيازات والاعتبار، ويميلون إلى تبني أنماط سلوك وقيم ثقافية مشتركة(١٤).

ولكن الطبقات الاجتماعية في حقيقة الأمر هي جماعات أو تكوينات اقتصادية لا تخضع لتحديد قانوني أو ديني، كذلك فإنها مفتوحة نسبياً وليست مقفلة بمعنى أن باستطاعة الفرد أن ينتقل من طبقة أدنى أو طبقة أعلى.

وعلى الرغم من وضوح الأساس الاقتصادي للطبقات، إلا أنها أكبر من كونها جماعات اقتصادية وخير مثال على ذلك تلك الجماعات المتميزة التي تمت منذ القرن السابع عشر في المجتمعات الصناعية. كما تنشأ مشكلات عديدة عند محاولة تحديد عدد الطبقات الاجتماعية أو تحديد حجم العضوية فيها، ومع ذلك فأغلب علماء الاجتماع يوافقون على وجود طبقة عليا (تتألف من مالكي الجانب الأكبر من المصادر الاقتصادية للمجتمع)، طبقة عاملة (تتألف من الماجورين في الصناعة) وطبقة وسطى أو طبقات وسطى وهي جماعة كبيرة الحجم تضم الفراغ الذي يفصل بين الطبقتين العليا والعاملة، وإن كانت تشمل بصفة خاصة الموظفين وأصحاب المهن الحرة، وفي بعض المجتمعات يمكننا أن نجد طبقة رابعة، هي طبقة المزارعين(١٥).

التعريف الإجرائي للطبقة الاجتماعية: مجموعة من الأفراد الذين يشتركون في مهنة أو وظيفة متشابهة، ونقول بينهم علاقات اجتماعيه نتيجة لقيامهم بعملية الانتاج والتي يسعون من خلالها لتحقيق مصالح مشتركه بينهم، ويتشابه الأفراد الذين ينتمون للمهنة أو الوظيفة نفسها في الكثير من العادات والسلوك وطرق المعيشة.

ثالثا: التباين الطبقي Class Stratification

التباين في اللغة والإصلاح

البَيْنُ في اللغة: الفراق. تقول منه: بانَ يَبينُ بَيْناً وبَيْنونَةً. وتبَايَنَ الرجُلانِ: بانَ كلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، وَكَذَلِكَ فِي الشَّرِكَةِ إِذَا انْفَصَلَا (١٦).

اصطلاحاً: تَبايَنَ القومُ: تهاجروا وتباعدوا. **وتباين** الأمران: تغايرا واختلفا(١٧).

ويُعرف التباين " وجود علاقات ثابتة ، ضمن نسق واحد"(١٨).

وفي الموسوعة العربية نجد تعريف (التباين هو نسق من التحولات، يتألف من عناصر، يكون في أي عنصر منها ان يؤدي إلى تحولات في باقي العناصر الاخرى(١٩).

يعتبر مصطلح التباين الطبقي عند "رايت" شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الطبقات المختلفة ، والتي تحدد في النهاية مصالحهم الطبقية . ويذهب الى ان البنية الطبقية تحدد الاماكن الفارغة او الصامتة، والاوضاع والاماكن الحقيقية الملموسة التي يشغلها الافراد والجماعات ، ولكن ذلك لا يعني من وجهة نظره ان البناء الطبقي مستقل عن الاوضاع التي يشغلها الاشخاص الذين تتكون منهم الطبقات.(٢٠)

ان ظاهرة التباين بين الطبقات الاجتماعية هي أقوى بكثير من التباين بين المجتمعات القومية، ذلك لأن الاختلاف بين الشعوب اقل من الاختلاف بين الطبقات الاجتماعية في البلد الواحد(٢١). وتعرف

الطبقة حراكا وانتقالا متعددا، وبحسب الموقع الطبقي، وبهذا هناك تصنيفات متعددة، غير أن أشهرها هو ذلك الذي يصنفها إلى ما يأتي:

١. **الطبقة العليا Class supper** : تعرف بأنها طبقة المجتمع القادرة على السيطرة على الطبقات الدنيا، بحكم سلطتها الكبيرة وثروتها ونفوذها، وتختلف الطبقة العليا في صفاتها من مجتمع إلى آخر، ولذلك يجب تحديد مفهومها في كل مجتمع على حدة طبقا لقيمة وثبات السلطة فيه ونمط توزيع الثروة[٢٢]،

٢. **الطبقة الوسطى:** أنها تتكون من قسمين أساسيين: الأول: ممن يعملون لدى الغير (الحكومة – قطاع الأعمال – قطاع خاص) ويطلق عليهم موظفين ويشغلون موقعاً يتيح لهم حيازة قوة فنية أو إدارية أو تنفيذية تجعلهم يهيمنون نسبياً على من يخضعون لهم بحكم موقعهم من العلاقات الاجتماعية والتنظيمية للإنتاج. [٢٣].

٣. **الطبقة السفلى أو الدنيا Class Lower:** نعت يعتريه بعض الابهام ويستعمل عادة للدلالة عن مركز طبقة اجتماعية يتميز افرادها بصفة عامة بمستويات منخفضة في الدخل والتعليم، وبالكيفية التي يرون بها أنفسهم والتي يراهم بها غيرهم في ضوء النسق الطبقي للمجتمع. وتتمثل هذه الطبقة بالعمال ولذلك يطلق عليها بالطبقة العاملة (working class) وتعرف على أنها (جماعات العمال اليدويين في المجتمع الصناعي الذين يشغلون الفئات الدنيا من بين طبقات المجتمع بسبب دخلهم ومركزهم والأحوال المحيطة بهم ومشاكلهم الناشئة عن هذه الأوضاع) [٢٤].

المفهوم الاجرائي للتباين الطبقي في هذه الدراسة يتضمن تركيب الطبقة الاجتماعية وشرائحها وخصائصها العامة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعلاقتها بالطبقات الاجتماعية الاخرى.

رابعا: مفهوم الاحتجاجات

الاحتجاجات The Protests: يعرف الاحتجاج في اللغة: (اقام الحجة وعارض مستنكرًا) [٢٥].

وفي الاصطلاح: هو ميل الانسان للاعتراض على ما يراه ظلماً أو أمام واقع غير منصف يفرض عليه وهو من الناحية الاكاديمية مفهوم بالغ التعقيد ومتعدد الابعاد في بنيته ووظيفته معاً، والاحتجاجات: مصطلح يشير إلى قدرة على الحركة او التغيير, ومن هنا جاء النعت الوصفي المتحرك (Mobile) او قابل للتحرك (Movable) والمصطلح يشير إلى آراء الحشود وبعدئذ سلوك الأفراد[٢٦].

وعرف عالم الاجتماع الأمريكي (تشارلز تلي) الاحتجاجات (بأنها تنظيمات مؤلفة من جماعات متنوعة المصالح, تضم حال تشكيلها أغلب طبقات المجتمع إلى جانب العنصر الفكري, والشيء الذي سيجمع هذه القطاعات المختلفة من المجتمع ذات المصالح المتنوعة هو شعور عام بالضيم والظلم)[٢٧].

وتعرف الاحتجاجات عند الماركيسية بانها التحرك الجماهيري الذي ينشأ كنتيجة للصراع الطبقي وهي الفعل الذي يعني تحرك الجماهير تجاه تغيير الأوضاع القائمة, ولابد ان نعرف بأن الحركة ليست

التعبير عن تناقض ما, بل هي تفجر صراعًا, انها سلوك جمعي موجه إلى موضوع الصراعات الطبقية التي تمثلها منظومة العمل التاريخي, لا إلى قيم التنظيم الاجتماعي او إلى المشاركة بمنظومة تقرير[٢٨].

كما يعرف الاحتجاج بأنه عمل جمعي يستخدم وسائل غير مألوفة للضغط على السلطات والمؤسسات الرسمية لتحقيق مطالب محددة ولتغيير الظروف السائدة ومعالجة المظالم والشكاوى الجمعية[٢٩].

والاحتجاج هو فعل سياسي جماعي يتطلب تنظيماً تحديداً الأولويات، وقد يكون هدف الاحتجاج التأييد او الاحتجاج ضد الأوضاع الاقتصادية التي لا تناسب المواطن[٣٠].

خامسا: احتجاجات تشرين:

احتجاجات وطنية شاملة تعلو فوق الطائفية والقومية والمذهبية وكل التنوعات التي يضمها العراق فضلاً عن اهدافها ومطالبها التي اختزلت بشعار الاحتجاجات المعروف نريد وطن تعبير عن المطالب ببناء وطن مؤسساتي حضاري يليق بالإنسان العراقي[٣١].

وحراك تشرين الاحتجاجي فريد من نوع في التاريخ السياسي المعاصر للعراق ليعود ويتجدد في ٢٥ تشرين الاول والاسابيع التي عقبته بما جعله الحراك الاكثر شمولاً وعمقاً وقدره على المطاولة وتنويع الاساليب من بين كل الحركات الاجتماعية التي شهدها العراق خلال قرن من الزمن[٣٢].

التعريف الاجرائي: الاحتجاجات هي كل فعل او مجموعة أفعال (مادية–معنوية) يقوم بها مجموعة أفراد تجمعهم مصالح مشتركة، وينضمون أنفسهم للتعبير عن مطالبهم عندما يرى المجتمع هناك خطأ ما او قصور من السلطة الحاكمة او مؤسسة من مؤسسات الدولة، فالاحتجاج ظاهرة سلمية صحية لتغير من واقع سيء إلى واقع أفضل.

المبحث الثاني

الوعي الطبقي واحتجاجات تشرين

أولاً: الطبقات الاجتماعية في العراق

إن تعبير الطبقة يستخدم على نطاق واسع بوصفه عنواناً عاماً لوصف بنية التفاوت في المجتمعات الحديثة، إلا ان ذلك الوصف للتفاوت سيشمل إفتراضات ضمنية او علنية حول السبب الذي فيه تحديد وجود شخص او مهمة او فئة اجتماعية معينة في طبقة معنية، فالطبقات حقائق اجتماعيه تقوم في كل مجتمع بالرغم من جميع النظريات وجميع العبارات التي تحاول انكارها، وبين لنا التاريخ وجود طبقات مختلفة عند جميع الشعوب كانت تتعاون في هدوء أحياناً وكان يقوم بينها الصراع أحياناً أخرى، واحتقار طبقات المجتمع العليا لما دونها كأطلاقها عليها مثلا أسماء ونعوتاً قد تكون فيها نظرة دونية مثل (الدهماء، الاوباش، قطاع الطرق، الرعاع ....) ولا يخفى ان هؤلاء الدهماء يشكلون قطاعات واسعة مما ندعوه اليوم بالقواعد الشعبية او عوام الناس او العامة وما الى ذلك[٣٣].

فنظرة الطبقة العليا لعامة الناس لم تكن محمودة في غالب الأحيان، للألفاظ وان اختلفت بالمبنى اللفظي لكنها اتفقت بالمداليل ومحصل أغلبها يدل على إذلال أولئك، فإنها الفاظ سلبية تعبر عن رفض اجتماعي، واحتقار يمارسه سكان المدن في بعض الأحيان او كل أولئك الحريصين على ضبط النظام والامن الذي رفضوه عن طريق القوة(٣٤).

إن تداخل العوامل المختلفة يجعل من العسير علينا ان نحدد معنى الطبقة بوضوح ودقه كما تحدد الاشكال الهندسية كالدائرة او الشكل المتعدد الاضلاع مثلاً او كما تحدد المعاني الاختبارية في العلوم الطبيعية فالطبقة ليس لها حدود مرسومة بدقة كما هي الحال في الطائفة او الفئه الاجتماعية، ولا نستطيع ان نقول بوضوح أين تبدأ حدودها، وأين تنتهي. كما ان الطبقة الواحدة تضم بين ثناياها فئات تنوع أشد التنوع الحياة والتربية والثقافة قد تختلف في الواقع بين اناس يمارسون مهنة واحدة او يملكون ثروات متساوية، وقد يحدث على العكس ان تتشابه هذه النواحي في أناس يمارسون مهنا مختلفة او يتفاوتون من حيث درجه الثراء(٣٥).

فالطبقة هو جمع الاشخاص وفق معايير الوظائف والشروط الاجتماعية المشابهة، ولكن في هدف تحديد ذاك الذي يُبنين المجتمع وفيما يتعدى ما يبديه لنا بصوره مباشرة، إلا أن المبادئ والقواعد المستخدمة للتصنيف في اواسط القرن الثامن عشر كانت غامضة ومتغيره جداً(٣٦).

فالطبقة بوصفها ذات اشكال متعددة وظواهر متباينة، وكما قال ماكس فيبر فانه يمكن للطبقة ان توجد بشكل مميز خاص بها او كعنصر داخل مجموعة ذات منزله معينه (كقسم يضم اصحاب الاراضي داخل مجموعة من شيوخ العشائر)، او ان تضم مجموعة مختلفة من منزلة معينة، ويمكن للطبقة انت تضم "نخبة مثل أرستقراطية عمالية" و "جمهوراً مثل أكثرية العمال" وبهذا المعنى فان النخبة والطبقة لا تشكلان بالتبادل مفهومين مقصورين، ويمكن للطبقة ايضاً ان تتضمن طبقات فرعية "عليا ووسطى ودنيا"، قد تكون روابط احدها بالأخرى كروابط طبقات مختلفة، كما اظهر كل من ماركس و فيبر، وفي العراق مثلاً وقف كل من كبار الاراضي وصغارهم في جهتين مقابلتين ومتعارضتين او كانت لهما ولاءات سياسية متنازعة، في سنتي الثورة عام ١٩٥٨ – ١٩٥٩، وبالتالي فان من غير الملائم تحديد الطبقة بانها تجمع لأشخاص يتميزون بعلاقات مشتركة او متشابهة مع وسائل الإنتاج، او يلعبون دوراً متماثلا تماماً او متشابهاً في عملية الإنتاج، نظراً لان الاختلاف في درجة او مدى ملكية وسائل الانتاج او السيطرة عليها يمكن ان يكون كبير الى احد ان يشكل مفهوم نتائجها الاجتماعية اختلافاً نوعياً ايضا وليس مجرد اختلاف كمي(٣٧).

لذلك فقد أولى علماء الاجتماع اهتماما كبيرا في دراسة التباين الطبقي وما يحدث من تمايز الطبقات داخل نطاق الجماعات المختلفة كالقبيلة او المدينة او الدولة تحت تأثير ظروف متباينة والاسباب جداً مختلفة، ويمكن القول بوجه عام ان تقسيم العمل الاجتماعي وهو ظاهر عامه بالنسبة لجميع المجتمعات له نصيب كبير في هذا التميز الطبقي فتنوع الحاجات الاجتماعية وتوزيع الاعمال

الضرورية لإرضاء هذه الحاجات توزيعا تلقائيا او مفروضا يؤدي بالضرورة الى تميز بين الافراد وبحسب اختلاف الاعمال ولا شك ان العمل لتوفير الغذاء وبناء المساكن وصنع الاسلحة والاواني وادوات العمل ونسج الملابس كل هذه الحرف المختلفة تكفي لإيجاد تفرق بين الزراع والصناع وهذا اذا قصرنا النظر على المجتمعات التي لم تتقدم في الحضارة إلا قليلاً اما حين يتعقد نظام تقسيم العمل فانه يؤدي الى ازدياد عمليات التبادل التجاري ثم يؤدي بعد ذلك الى نظام الدفع على اجال وحين اذن تنشا فئات اجتماعيه جديده فبجانب الزراع والصيادين والحدادين والبنائين وصانعين الفخار يظهر التجار ورجال البنوك وهذه الفئات المختلفة لا تلبث بدورها ان تكون طبقات على اساس التشابه او التضاد في نوع حياتها ومصادر ثروتها ودرجه ثقافتها وتعليمها(٣٨).

ويتعلق النمط الاقتصادي الذي نتحدث عنه بطبيعة الإنفاق، مثلاً، أي كيف تنفق العائلات الدخل المتحقق وتقسمه بين الحاجات الأساسية مثل الطعام والشراب، والملبس والمسكن، وتخصص ما فاض عن ذلك للتعليم أو لأغراض الرفاه الاجتماعي والسفر. وطبيعي أنه كلما ارتفعت النسبة المخصصة للتعليم والترفيه، يصبح وصف الطبقة الاجتماعية أكثر دقة. وللتوصل إلى هذه التصنيفات، ثمة حاجة إلى كثير من البيانات التي غير متاحه في العراف للباحثين الراغبين في دراسة أنماط الإنفاق في مجتمعاتهم، أو على الأقل دون تحديد واضح عن أي الفئات الاجتماعية نتحدث.

وهناك عدد من الحقائق التي ارتبطت بالطبقة الاجتماعية خلال العقدين الماضيين، تتعلق الأولى بتراجع دور هذه الفئات المجتمعية وزيادة الضغوط الاقتصادية عليها، والعديد من أبناء هذه الفئات تراجعت أحوالهم بفعل السياسات الاقتصادية التي اتُبعت منذ بداية عام ١٩٩٠، تدلّل على ذلك زيادة أعداد الفقراء في العراق. كذلك لم يشهد توزيع الدخل في العراق وفقاً للمقاييس الفنية التي توظَّف، تحسناً مرتبطاً بمستويات النمو، ما يشير إلى أن الهوة بين الفقراء والأغنياء في اتساع وأن الفئات التي تقع في المنتصف لم ترفع حصتها من الثروات في بلادها.

وليست واضحة في العراق أسس التحولات المجتمعية والطبقية، فالتعليم الذي يعتبَر مفتاحاً لإحداث ذلك التحول، فقد دوره المهم، فالبطالة مرتفعة والدخول إلى سوق العمل لم يعد مدخلاً لإحداث ذلك التحول إلا في ما ندر من وظائف، لم يمكن للفقراء ومحدودي الدخل الاستفادة منها. وواضح أن هناك دوراً مطلوباً من تلك الفئات المتوسطة الدخل، لكن السياسات الحكومية في العراق المتبعة لا تذهب في اتجاه تعزيز وضع تلك الفئات، بل المطلوب أكثر استغلالها من الجهة السياسية من دون منحها هامشاً للتحرك لتحديد مطالبها، لكن كثيراً من تلك الفئات التي تشمل الموظفين والمحامين والمهندسين والأطباء، مثلاً، بدأت تتحرك على أسس مطلبية، فالمسألة ببساطة تتعلق بإيجاد عمل وتأمينات صحية واجتماعية تتميز بالاستقرار.

يُعتبر تجميع تلك الفئات من خلال هيئات رسمية وتشجيعها على الانخراط في العمل السياسي، الخطوة الأولى تجاه إعادة الاعتبار للطبقة الاجتماعية التي يتحدث عنها كثيرون، لكنهم يعزفون عن

تحديد ماهيتها. كذلك سيؤسس تأمين ظروف العمل اللائق والحماية الاجتماعية اللازمة لنمط جديد من العلاقات بين أصحاب العمل والعمال والدولة والمجتمع. وبهذه الطريقة يؤسَّس لإعادة بناء الفئات التي تشكل عماد المجتمع وتشكّل أساساً للاستقرار وتفتح نوافذ التغيير.

ثانياً: احتجاجات تشرين ٢٠١٩

انطلقت بداية احتجاجات تشرين في يوم الثلاثاء تشرين الاول عام ٢٠١٩ ولمدة سبعة أيام وتعد هذه المرحلة الاولى للاحتجاجات، وهي مرحلة حافلة بالمواجهات الدموية التي راح ضحيتها حوالي(١٥٧) مدني واكثر من (٢٠٠٠)، جريح وعدد كبير من المغيبين والمختطفين حسب بيانات منظمة حقوق الانسان في العراق[٣٩].

إذ شهدت العاصمة بغداد وبعض المحافظات قيود وإجراءات مشددة من قبل القوات الأمنية وفرض حظر التجوال وإغلاق الطرق الرئيسية المؤدية إلى ساحة التظاهرات في كافة أنحاء البلاد، كما تم إغلاق مدخل العاصمة بغداد، وتم حظر مواقع التواصل الاجتماعي وقطع خدمه الانترنت عن جميع المحافظات العراقية باستثناء اقليم كردستان، وسرعان ما توقفت هذه التظاهرات من قبل الناشطين، وبعض المنظمين على رغم من خروج اعداد كبيرة من المتظاهرين ، بسبب قرب زيارة أربعينية الامام الحسين(عليه السلام)، وقد بدأ التحشيد من قبل فئات مختلفة من شرائح المجتمع للانطلاق المرحلة الثانية من الاحتجاجات على مواقع التواصل الاجتماعي وحدد موعد انطلاق الموجة الثانية من الاحتجاجات يوم الجمعة الموافق ٢٥ تشرين الاول عام ٢٠١٩ ، ويعد الكثير من المراقبين والسياسيين والباحثين ان هذه الخطوة أي عودة الاحتجاجات مرة أخرى بـ(الخطوة التكتيكية الثورية) لتفويت الفرصة على الاصوات المعارضة للاحتجاجات التي حاولت النيل من المتظاهرين عبر الادعاءات بأن التظاهرات جاءت لتحول دون توجه المواطنين لزيارة اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) إذا استخدمت الاحزاب الاسلام السياسي (الاحزاب الحاكمة) واتباعها هذه الذريعة لتفتيت الاحتجاجات والطعن بأيمان بعض المحتجين، لذا تم تعليق المرحلة الاولى من الاحتجاجات والتحشيد ليوم ٢٥ تشرين الاول ٢٠١٩ لانطلاق الموجه الثانية للحركة الاحتجاجية الشبابية بزخم جماهيري كبير في جميع المحافظات العراقية بخطوه استباقيه لأي اجراءات حكومية بأغلاق ساحة التظاهرات بعد ان اعلنت الجهات الحكومية حالة الانذار القصوى(ج) فقد توافدت آلاف من المحتجين إلى ساحة الاحتجاجات في بغداد والمحافظات الوسط والجنوب بزخم جماهيري كبير وتعد هذه المرحلة هي المرحلة الثانية لاحتجاجات تشرين[٤٠].

تعد هذه التظاهرات بمثابة غضب شعبي على الأداء الحكومي المتردي ورد فعل متوقع من الشباب الذي عانى الإرهاب والتهميش وتردي الخدمات ، فضلاً عن التدخل الخارجي في الشأن السياسي العراقي[٤١]، وبدأ الزخم الجماهيري من الشباب يتوافدون على ساحة التحرير في بغداد، وارتفعت الهتافات ضد الحكومة والطبقة السياسية المتورطة بالفساد ونهب المال العام وفرض المحاصصة الحزبية والطائفية كما هتفوا ضد التدخل الخارجي في شؤون البلاد[٤٢].

فالمحتجين يشعرون بالاسى تجاه نوعية الحياة التي يعيشونها، وهذا الغضب تفجر في لحظة ما ونزل الى الشارع على شكل مجاميع شبابية بلا رؤوس واضحة او قيادة ، ومن الجدير بالذكر ان الهتافات في التظاهرة الأولى للمحتجين كانت تخلوا من شعارات اسقاط النظام او تغيير الدستور او طرد الأحزاب الحاكمة او التدخل الخارجي في الشأن العراقي ، وإنما ركزت مطالبهم على حقوق مشروعة مثل التعيين في دوائر الدولة ، وتوفير العمل للعاطلين وتحسين الخدمات ، ولم تلاقي هذه الشعارات والهتافات أي رد فعل من قبل السلطات الحاكمة بل قابلتها بالعنف والضرب والاعتداء والقتل، وبعد عودتها مرة أخرى تصاعدت وتيرة الهتافات الى اسقاط النظام وتغيير الطبقة الحاكمة[٤٣].

بقدر ما تشّكل احتجاجات تشرين الأولى ٢٠١٩ امتدادا لما سبقها من تظاهرات، فإن في الوقت نفسه تمتلك خصائص مختلفة، سواء على مستوى المشاركين، أو التنظيم، أو الدوافع، كانت في بعض عناصرها امتداداً للتظاهرات التي سبقتها، وفي عناصر أخرى كانت مختلفة تماما[٤٤]، إذ شكلت ساحة التحرير المكان الأكثر احتضاناً للاحتجاجات لشهور، وبشكل عام يمكن تصنيف المتظاهرين في ساحة التحرير الى الفئات المبينة ادناه، بملاحظة ان اغلب المتظاهرين ينحدرون من مناطق سكنية شعبية[٤٥]. وجدول يبين بعض الفئات من المحتجين:

جدول رقم (١) مشاركة الفئات المحتجة في تظاهرات تشرين (*)

الفئات المشاركة	نسبة المشاركين	الفئات العمرية
الفئات المهمشة	ويشكلون نسبة كبيرة جدا من المحتجين الشباب ويشكلون خط الصد الأول للمحتجين	من سن العاشرة الى سنة ٤٠
شباب متعلمون	تشكل النسبة متوسطة	من سن الحادية العشر الى سن الثلاثين
نخب	يشكلون نسبة منخفضة	مختلف الفئات العمرية
فئات عابرة	تشكل الفئات العابرة للنساء والرجال كبار السن وبعضهم التحق بأولاهم	تتراوح أعمارهم من سن ٤٠ سنة الى ٦٥

لقد مر المجتمع العراقي في تاريخه الحديث والمعاصر بأحداث سياسياً واجتماعيا، وان حالة النزاع الداخلي وانعدام الاستقرار وصفحات الدم العراقي المراق يوميا يقود إلى تعثر جهود التنمية الداخلية مما يؤثر على الاقتصاد المحلي للفرد العراقي، ويؤثر في معدلات الفقر، ويخلق حالة من التباين الطبقي لدى الفرد العراقي، وهذا يؤدي الى صراع سياسي واقتصادي للمجتمع [٤٦].

وقد اختلف احتجاجات تشرين عن سابقاتها فقد اكد المحتجين اصرارهم على استعادة الوطن مهما بلغت التضحيات ، فقدموا مئات الشهداء والاف الجرحى في مسيرتهم الاحتجاجية ، من خلال مشاركة عدد كبير من الطلبة (على مستوى المدارس والجامعات) وشهدت الساحات في بغداد والمحافظات بنصب الخيام لبعض المدارس والجامعات الحكومية والأهلية، وحقق دخولهم واضرابهم عن الدوام رافداً

مهماً في دعم التظاهرات ومدها بالزخم الجماهير الكبير، ونظموا لعدة مرات مسيرات حاشدة شارك فيها الطلبة والمدرسين وحتى مدراء المدارس، فضلاً عن الجامعات والموظفين وأساتذة ورؤساء بعض الجامعات تطالب بالإصلاح الاقتصادي والسياسي وكذلك التعليمي وعدم التدخل بشؤون المؤسسات التعلمية ، كما ندد اغلب الطلبة بأسقاط النظام السياسي ومحاسبة الفاسدين[٤٧].

كما شهدت الساحات نصب خيام للنقابات مثل نقابة الفنانين ونقابة الصيادلة ونقابة المهندسين، وغيرها من النقابات وكان لهم دور فعال لدعم المحتجين، كما كان دور كبير لنقابة المعلمين في رفد ساحات الاعتصام من خلال توجيه الطلبة والاضراب عن الدوام. وجدول التباين في نسب المشاركة للطلبة المدارس والجامعات:

جدول رقم (٢) يبين نسبة مشاركة طلبة المدارس (*)

المراحل الابتدائية	المراحل المتوسطة	المراحل الإعدادية
شكلت نسبة ١٠%	شكلت نسبة ٤٨%	شكلت نسبة ٦٧%

جدول رقم (٣) يبين مشاركة طلبة الجامعات وطلبة الدراسات العليا(*)

المشاركون	نسبة المشاركة	الفئات العمرية
طلبة الجامعات	شكلت نسبة طلبة الجامعات في بغداد ومحافظات الفرات الأوسط اكثر من ٧٠%	٢٠-٢٤
طلبة الدراسات العليا	شكلت نسبة مشاركة طلبة الدراسات العليا نسبة كبيرة ٦٥%	٢٨-٣٥

اما المرأة فكان لها دور فعال في دعم الاحتجاجات فقد كان حضور النساء في الأيام الأولى قليلا، ثم بدأ يتزايد، فقد شاركت في الاحتجاجات نساء من كل الأجيال ومن مختلف الشرائح الاجتماعية، فقد ترى الجدات اللواتي يجهزن الخبز والسياح (الخبز المصنوع من طحين الأرز) وبائعات الشاي إلى جانب الشابات العصريات، والمرأة البغدادية بصورتها الفلكلورية ، وصبايا وشابات وهن يهتفن بصوت عال بكل طموح (نريد وطن)، إن اندفاع العراقيين للمشاركة في المظاهرات لا يوصف كثير من الشباب جاءوا إلى المظاهرات وأخفوا خبر مشاركتهم عن عوائلهم، كي لا يثيروا قلقهم لكنهم اكتشفوا أنهم سبقوهم إلى ساحات التظاهر ، وتعرضت كثير من النساء الى الخطف والابتزاز، وعلى الرغم من مخاوف بعض النساء من الاختطاف، لكن الهاجس لم يقف حاجزا أمام إقبال متزايد للنساء في الاحتجاجات، بدءا من خط المواجهة الأول وصولا إلى الخطوط الخلفية[٤٨].

ثالثاً: احتجاجات تشرين حركة إصلاحية

تسود الرغبة في بعض الدول لإحداث التغير الاجتماعي عن طريق الحركات الإصلاحية أكثر، ولذلك تكون الروابط طبيعية ويتم تنظيمها إراديا وتوجه نشاطها لخدمة الأغراض العامة[٤٩]. وتتسم تلك الحركات الإصلاحية بأنها لا تخرج عن الحدود المشروعة.

فأصل الاصلاح هنا هو بعث روح المسؤولية عند الافراد والجماعات، وتعزيز روح التفاهم والتواصل والتضامن فيما بينهم، و لا يمكن تحقيق ذلك من دون بناء الثقة الاجتماعية التي لا تنشأ إلا في مناخ من الصدق والنزاهة والتعامل المتساوي والمشاركة الفعلية، التي تعزز الشعور العميق عند الجميع بأنهم شركاء فاعلون ومهمون لا يمكن الاستغناء عنهم في بناء الحياة العامة، وهذا يعني أن التحدي الأكبر لأي إصلاح في أي نظام هو الشرط الأول لتحقيق مهام التغيير المنشود من الإصلاح فحسب، ولكن أكثر من ذلك؛ لأنه الأسلوب الوحيد لمساعدة الأفراد على تغيير أنفسهم أيضا، وتعزيز مشاعرهم الجمعية، وبناء أركان التواصل والتفاهم والتشارك فيما بينهم، مما يدفعهم إلى العمل البناء والحرص على المصلحة العامة(٥٠).

ولكن للأسف الشديد الكل يغفل الآثار التي تترتب على هذه الثورات وخاصة السلوك الاجتماعي بين الأفراد والذي لا يظهر ولا يطفو على السطح إلا بعد وقت من اندلاع أي ثورة ويظل المجتمع يبحث ويحاول ويدرس تلك الظواهر التي خرجت من رحم المعاناة والظلم بعد استقرار الأحوال وهدوء الثورات.

ومن ناحية أخرى فإن مفهوم الثورات يختلف بناءاً على خلفيات وقناعات معادية وأخرى مؤيده لفكرة الثورة، فالطرف المعادي يدرس الثورة بهدف التنبؤ بها واجهاضها والحيلولة دون وقوعها بدافع المصلحة الخاصة، حيث يرى هؤلاء أن الطغيان هو النظام الطبيعي في الثورات، وأن الثورة شذوذ وانحراف، ويرونها جهداً ضائعاً لأن المجتمع يمكنه أن يصل إلى ما وصل إليه بالثورة بدون التضحيات و الخسائر التي تطلبتها الثورة. أما الطرف المؤيد فيدرس الثورة للصالح العام، على اعتبار أنها وسيلة المجتمع لتعديل النظم والسياسات، فهي قفزة من التشكيل الاقتصادي والاجتماعي البالي إلى تشكيل أكثر تقدماً، وهى نوع من التغيير الجذري والعميق يستهدف اكتشاف الأخطاء وبناء علاقات سليمة مكانها، تشيع العدل وتصنع التقدم(٥١).

ومن أسباب قيام حركات الاجتماعية في العراق فأن هناك عدة أسباب لقيام الحركات من أهمها:

أ- **أحداث التغير السياسي:** اشتغلت النظريات الاجتماعية كلها في عملية تفسير كنة التغير وعوامله منذ "علم العمران" عند العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه الشهير بـ (المقدمة) ومنذ الماركسية وحتى يومنا هذا، مقدمة الكثير من التفسيرات التي قد تنطبق أحيانا على زمان ومكان معين ولا تنطبق على زمان ومكان آخر وذلك بسبب ما تحتله الاختلافات أحيانا بين الأمكنة والأزمنة في التاريخ والجغرافيا والمكونات الإجتماعية والثقافية المختلفة وقد يكون التغيير السياسي سلميا فيطلق عليه مصطلح (إصلاح) وقد يكون بالقوة فيطلق عليه ثورة، ويأتي التغيير السياسي استجابة لعدة عوامل منها الرأي العام أو مطالب الأفراد من النظام السياسي ومنها تغيير في نفوذ وقوة بعض الحركات والأحزاب وقد يكون كتداول للسلطة في الحالات الديمقراطية أو إعادة توزيع الأدوار في حالات أخرى كالنقابات(٥٢).

ب-**أحداث التغير الإجتماعي "القيمي"**: أن التغيير لصالح الحريات والعدل الاجتماعي والاقتصادي والشراكة في الحياة السياسية مع الشعوب لن تكون ممكنة بلا حركات شعبية وانتفاضات وثورات تتجاوز الممكن والمعقول وغالبا ما تتشبث النخب السياسية الحاكمة بالسلطة ولا تفكر في أن ترحل تاركة الساحة لمن يقدر على تحقيق أهداف الإصلاح لهذه الشعوب وهناك اسباب عديدة تؤدي لقيام الشعوب بالثورة على الأنظمة الحاكمة ومنها:

١- غياب الإصلاحات.

٢- انعدام الأمل في التغيير.

٣- فساد النخبة الحاكمة.

٤- تدهور الأوضاع الاقتصادية

ت- **بطالة الخريجين والمشكلات النفسية والاجتماعية المترتبة:** يمثل العمل تنفسا للطاقة والنشاط ويشعر الفرد بأهميته وبحاجة الآخرين إليه كما يعني الاعتراف بقيمة الذات والحاجة للاستفادة من هذه القدرات ويترتب على عدم توفر فرص للعمل مشكلات نفسية منها شعور الفرد بعدم الأمان والعجز كما يؤدي إلى الشعور بالقلق وتهديد الذات. وتتعدد نواحي أزمة البطالة فمن الناحية الاقتصادية تؤدي إلى خلل في النظام الاقتصادي واضطراب وقصور في الموارد البشرية، مثل بطالة الشباب، وإنعدام الرعاية الصحية، وتدني مستوى الدخول، والمحسوبية.

ان فئة الشباب هي اكثر الشرائح الاجتماعية استجابة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك يرجع لطبيعة الامر الى التحولات بطبيعتها وتفاعلاتها ترفض الثبات وتتجه إلى تغيير الواقع كما ان هذه التحولات أكثر تأثيراً في الشباب لذلك فأن تحليل تصورات الشباب في علاقتهم بمجمل المتغيرات المحلية والعالمية من الموضوعات المحورية التي تستحوذ باهتمام البحث السوسيولوجي، وبات من الضروري اندماج الشباب في قضايا الإصلاح ومساعدتهم على طرح رؤيتهم ونقلها إلى حيز التنفيذ والسعي لتحسين مفهوم الحوار والمشاركة وتحمل المسؤولية بما يحقق خروج الشباب من موقع المتفرج إلى موقع المشاركة(٥٣).

إنَّ التراث النظري الخاص بالثورات يشير إلى بدايتها باعتبارها احتجاجات اجتماعية واقتصادية لبثت ان تتحول الى ثورة على النظم الاستبدادية نتيجة استعجال حالة الاحباط واليأس بين جموع الشعب. وذلك في ظل ضعف آليات السلطة في تدعيم بقائها, الا ان نجاح الثورات لابد وان يضمن عوامل اخرى تساعد على نجاحها وتضم هذه العوامل نفور النخب ومنها الجيش والشرطة وتآلف اكبر قطاع من السكان بمختلف الشرائح والطوائف الدينية والعرقية حول هذه الثورة(٥٤).

لقد كانت ثورة تشرين ثورة شعب أمن بالتغيير كانت طلباته الحرية والعدالة الاجتماعية ومن عظمة هذه الثورة أنه لم يكن لها قائد يقودها بل كانت شعبية بكل أطياف المجتمع العراقي لكن بعد نجاح الثورة وتحقيق بعض من مطالب المتظاهرين.

أولا: الاستنتاجات

١. أثارت الحركات الاحتجاجية الجديدة في العراق تغييراً على أنظمة وأبنية الجماهير على المستوى السياسي والاقتصادي .

٢. تعد احتجاجات تشرين بمثابة غضب شعبي على الأداء الحكومي المتردي ورد فعل من طبقة الشباب الذي عانى الإرهاب والتهميش وتردي الخدمات ، فضلاً عن التدخل الخارجي في الشأن السياسي العراقي.

٣. شكلت فئة الشباب في الطبقة المهمشة في المجتمع الأكثر مشاركة في الاحتجاجات تشرين تطالب بالإصلاحات الحقيقية للواقع الخدمي والسياسي والاجتماعي

٤. دلت نتائج الدراسة ان للمرأة دور فعال في دعم الاحتجاجات فقد شاركت في الاحتجاجات نساء من كل الأجيال ومن مختلف الشرائح الاجتماعية.

٥. شكلت نسبة طلبة الجامعات في بغداد ومحافظات الفرات الأوسط الانسبة الأكبر, اذ بلغت نسبة الفئات العمرية (٢٠-٢٤) حوالي (٧٠%).

ثانيا: التوصيات

١. تشكيل لجنة حكومية تكون مهمتها التواصل مع ابرز الفاعلين في الاحتجاجات لمعرفة المطالب التي خرجوا من أجلها, اذ تعد هذه الخطوة بالاتجاه الصحيح نحو تقليص الفجوة بين الدولة والمجتمع.

٢. على الحكومة وضع برنامج تنموي يسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي عن طريق التوزيع العادل للدخل والثروة يسهم تلبيه طموح الطبقات الشبابية الفقيرة ، وتنمية قدراتهم والاستفادها منها في دعم الاقتصاد الوطني

الهوامش والمصادر:

(١) إبراهيم مدكور، شوقي ضيف، المعجم الوجيز، مجمع للغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٨٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط١٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٧٤.

(٣) محمد ثابت الفندي، الطبقات الاجتماعية، وكالة الصحافة العربية ناشرون، الجيزة- مصر، ٢٠١٩، ص١٦.

(٤) احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧، ص٦٢.

(5) Frederic Matouk, Dictionary of sociology, Academic Reference Dictionaries, Academia international, Baurit, 1993, p.304.

(٦)شارلوت سيمور-سميث ، موسوعة علم الانسان: المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة،٢٠٠٩ ، ص ص ٤٨٥-٤٨٦.

(٧) إليكس انكلز، مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ص ١٩٢-١٩٣.

(8) Mohammad Hasan . Consumerism and the Emergence of a New Middle Class in Globalizing Indonesia. Explorations a graduate student journal of southeast Asian studies. Volume 9, 2009, .p.p 87-97.

(9) Spooner Alan and Hawker sara, Oxford paperback Dictionary: The saurus and word power Guide, New York University press, 2002, p.151

(10) Keith Grint, work and society Areader, polity press, 2002, p.245

(11) Walker John Raymond, Dictionary of politics, Education, publishing corporation, 1999, p.74

(12)W. Robinson and J. Harris A. Towards a Global Ruling Class? Globalization and the Transnational Capitalist Class. Science and society, Vol.64, No.1, 2000, p.19

(13)Thomas F. Remington. The Russian Middle Class policy objective National council for Eurasian and East Ewopeaan Research university of Washington, 2010, p.45

(١٤) إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، ١٩٩٩، ص ٢٧٤.

(١٥) السيد الحسيني، مفاهيم علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، مصر،١٩٩١، ص ٢٢٩.

(١٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٦ ، ٢٠٠٨، ص١٩٥

(١٧) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٤، ص ٢١٦.

(١٨)عبد الوهاب المسيري، و فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٣ ، ص٣٤٢.

(١٩)فيصل دراج، "البنية" في الموسوعة الفلسفية العربية . تحرير: معن زيادة ، المجلد الاول الاصطلاحات والمفاهيم ، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص٩٨.

(20) E.O.Wright,Class Analysis, History and Emancipation ,New Left Review .No .202, Now .Dec . 1993 , p .20 .

(٢١) صادق الاسود، صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، مكتبة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٦، ص١٦٧.

(٢٢) احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧، ص٦٢.

(٢٣) عبد الباسط عبد المعطي، الطبقات الاجتماعية ومستقبل مصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة ٢٠٠٢، ص٧٣.

(٢٤) احمد زكي بدوي، مصدر سابق، ص٦٣.

(٢٥) المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, ط ٤, مكتبة الشروق الدولية, القاهرة، مصر, ٢٠٠٤, ص ١٥٦.

(٢٦)طوني بينت- لورانس غروسبيرغ- ميغان موريس, مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع, ترجمة: سعيد الغانمي, المنظمة العربية للترجمة, بيروت, ط١, ٢٠١٠, ص ٢٨٤-٢٨٣.

(٢٧) تشارلز تلي, الحركات الاجتماعية ١٧٦٨- ٢٠٠٤, ترجمة: ربيع وهبة, المجلس الاعلى للثقافة, القاهرة, ٢٠٠٥, ص٣٣.

(٢٨) آلان تورين، إنتاج المجتمع، ترجمة: الياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، ١٩٧٦، ص٥٥٣.

(29) William A. Darity Jr., International Encyclopedia of the Social Science, 2nd edition, vol. 6. New York: Macmillan Reference USA, 2008, P. 564.

(٣٠) طارق عمير مبارك النسي، المعايير الدولية لحق التظاهر والتجمع السلمي، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة ، ٢٠١٨ ، ص ٢١-٢٢.

(٣١) سبع خميس، الاعلام والموقف الامريكي من احتجاج تشرين ٢٠١٩ في العراق، دراسات سياسية واستراتيجية، العدد ٤٢ ، بغداد ٢٠٢٠، ص ١٩٣.

(٣٢) فارس كمال نظمي، وحارث حسن، الاحتجاجات التشرينية في العراق احتضار القديم واستعصاء الجديد، مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون، بغداد، ٢٠٢٠، ص٣.

(٣٣) روزماري كرومبتون، الطبقات والتراصف الطبقي، ترجمة: محمود عثمان حداد، وغسان رملاوي، المركز العبي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت- لبنان، ٢٠١٩، ص٩٧.

(٣٤)محمد اركون، الإسلام الاخلاق السياسية، ترجمة: هاشم صالح، منشورات دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧ ، ص ١١٦.

(٣٥) اندرية جوسان، طبقات المجتمع, ترجمة: السيد محمد بدوي, شركة الامل للطباعة والنشر, القاهرة, ٢٠١١ , ص٢٧ .

(٣٦) يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية, ترجمة: جورجيت الحداد, دار الكتاب الجديد المتحدة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨ ، ص٢٠ .

(٣٧) حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، مصدر سبق ذكره، ص٢٥.

(٣٨) اندرية جوسان، طبقات المجتمع, ترجمة: السيد محمد بدوي, ط٢, شركة الامل للطباعة والنشر, مصر،٢٠١١ , ص٢٧.

(٣٩) موقع الأمم المتحدة ، مفوضية حقوق الإنسان، ٢٥ تشرين الأول ٢٠١٩. https://news.un.org/ar/story/2019/10/10

(٤٠) حسين كريم العامل ، احداث تشرين العراقية ، المدى للأعلام والثقافة والفنون ، ٢٠٢١ ، ص ٨

(٤١) محمد رضا عباس ، التظاهرات التي لم تنته بعد ، سرد تاريخي لأحدث تظاهرات تشرين ٢٠١٩ في العراق ، دار الغيمة ، بغداد ، ٢٠٢٢، ص٣٢.

(٤٢) علي عبد الهادي المعموري ، الاحتجاجات في العراق ، الجذور والفاعلون، دراسة ألقيت في مؤتمر السلوك الاجتماعي في العراق الديناميات الفردية والاجتماعية ، الجمعية العراقية لعلم النفس السياسي ، بغداد ، ٢٠١٩.

(٤٣) محمد رضا عباس، التظاهرات التي لم تنته بعد، سرد تاريخي لأحدث تظاهرات تشرين ٢٠١٩ في العراق، مصدر سابق ، ص ٣٤.

(٤٤) علي المعموري، الاحتجاجات العراقية موجة عالمية بخصوصية محلية ، مركز رواق بغداد للسياسات العامة، بغداد ، ٢٠٢٠، ص ٥.

(٤٥) فارس كمال نظمي، وحارث حسن ، الاحتجاجات التشرينية في بغداد ، مصدر سابق ، ص٧٤.

* جدول من إعداد الباحث بالاعتماد على شهود عيان ومصورين ومراكز أبحاث ومراسلين، تم اجراء مقابلات شخصية معهم.

(٤٦) عاطف لافي مرزوق، إشكالية التحول الاقتصادي في العراق مبادئ هادية في الاقتصاد السياسي، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠٠٧ ، ص٩١.

(٤٧) علي المعموري ، احتجاجات تشرين معاينة للفئات الاجتماعية المشاركة في بغداد والنجف والناصرية ، ضمن كتاب الاحجاجات التشرينية في العراق إحتضار القديم واستعصاء الجديد ، مصدر سابق ، ص٧٧

* الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على المقابلات وشهود عيان وبعض منظمين الخيام في بغداد وبعض المحافظات.

* الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على المقابلات وشهود عيان وبعض منظمين الخيام في بغداد وبعض المحافظات.

(٤٨) محمد رضا عباس، التظاهرات التي لم تنته بعد ، سرد تاريخي لأحدث تظاهرات تشرين ٢٠١٩ في العراق ، مصدر سابق، ص١٢٣.

(٤٩) فادية عمر الجولاني، التغير الاجتماعي، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٥٠) هند أحمد الأحمر، الحركات الاجتماعية المعاصرة ودورها في التغيير الاجتماعي دراسة وصفية تحليلية مع إشارة لأهم الحركات الاجتماعية في الوطن العربي، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، ٢٠١٤، ص٩٣.

(٥١) احمد عاشور يونس: مفهوم الثورة

http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=1d3ca2b46000b633

(٥٢) عاطف ياسين الشريف، خريف الربيع العربي السياسي والاقتصادي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٦، ص٣٠.

(٥٣) طارق وفيق، في مسألة الحوار والمشاركة المجتمعية في مصر, مؤسسة الفؤاد, القاهرة , ٢٠٠٢، ص ٣٥.

(٥٤) رمزى محمود، انفجرت " ثورة الشباب" أنبل ثورات التاريخ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ص٧١ – ٧٢.